المحاضرة الثانية : المثلث الديداكتيكي

تنهض العملية التعليمية على مجموعة من الأركان لا تنفصم، وهي : المعلم، والمتعلم، والمحتوى التعليمي. وهذه الأركان الثلاثة هي الأعمدة التي تقوم عليها العملية التعليمية، ولذلك يطلق عليها في الأدبيات التربوية : المثلث التعليمي، أو المثلث الديداكتيكي. ويجب أن تلاحظ في هذا المثلث هذه الملاحظات التالية.

أولا : يعتبر المعلّم هو أهم ركن من هذه الأركان، وهو ينطوي ضمنيا على الركنين الآخرين. فالمعلم قبل أن يكون معلما كان هو نفسه متعلما من قبل. وهذا يعني أن المعلم له من الخبرة والدربة بحيث يمكنه أن يعرف ويتفهم الإشكالات والصعوبات التي يمكن أن تواجه المتعلم. ومن ثم فإن له الأهلية للتعامل مع هذه الإشكالات والقدرة على حلها أو تجاوزها.

ثانيا : كما أن المعلم لا يمكنه بحال من الأحوال أن يحوز صفة المعلم ما لم يكن عارفا ومدركا للمحتوى التعليمي. فقبل أن يتجسد المحتوى التعليمي في كتاب أو في أي حامل بيداغوجي آخر، يفترض في المعلم أن يكون ملما به، فاهما له، مدركا لأبعاده، ومدركا لكيفية إيصاله إلى المتعلم. وإلا فإن العالم الذي يكون عالما في أي ميدان من الميادين، وليس قادرا على إيصال وتفهيم المعلومة للمتعلم فليس يمكنه أن يحوز صفة المعلم، ولو كان هو نفسه عالما.

ثالثا : إن أهم واجبات المعلم هي التفهيم. والتفهيم عملية صعبة وبالغة التعقيد. ولذلك فإن المعلم الناجح هو الذي يتوسل بجميع الوسائل الممكنة للوصول إلى هذه الغاية.

رابعا : إن الوصول إلى غاية التفهيم، يقتضي أن يكون المعلم ملما بمتطلبات نجاحه. ومن ذلك القدرة على اختبار مدى استعداد المتعلم للعملية التعليمية، ومدى مناسبة المحتوى التعليمي لأهدافه وأغراضه التعليمية، ومدى مناسبة الظروف والملابسات التي تحيط بالعملية التعليمية. ولذلك نستطيع أن نزعم بأن المعلم هو القائد الحقيقي والمنسق الكلي لجميع متطلبات العملية التعليمية. وعليه، في المقام الأول، يتوقف نجاح أو فشل العملية التعليمية.

خامسا : يأتي في المرتبة الثانية في المثلث التعليمي، من حيث الأهمية، المتعلم، وذلك لأنه غاية وهدف العملية بأكملها. ويجب أن نلاحظ أن نجاح العملية التعليمية يتوقف بصورة كلية على مدى استعداد المتعلم لهذه العملية، ورغبته فيها، وإرادته إحراز التقدم. كما يجب أن نلاحظ أن هذه المتطلبات التي هي من حق المتعلم، هي عمليات نفسية داخلية، خاصة بالمتعلم ذاته بالدرجة الأولى، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تملى عليه من خارج. ولما كانت لها هذه الصفة الأكيدة والمهمة جدا، فإن خلق الرغبة والاستعداد عند المتعلم، وتقوية إرادته لذلك يقتضي من المعلم مهارة أخرى غير مهارة التفهيم. وهذه المهارة هي القدرة على التواصل مع المتعلم، والقدرة على النفاذ إلى نفسيته، وإدراك المعوقات التي تحول دون رغبته واستعداده. والقدرة على تمييز وفرز هذه المعوقات ومعالجتها. ومن هنا يمكن أن نقول أن العملية التعليمية ليست عملية تفهيم فقط، ولكنها عملية تواصلية في المقام والأول.

سادسا : إن من حق المتعلم طرح السؤال، والإعتراض على ما لم يفهم، وإبداء الرأي، واقتراح الحلول والبدائل. وكلما قويت درجة تفاعل المتعلم مع المعلم كان ذلك دليلا على الرغبة في التعلم، وتعددت إمكانات إيجاد الحلول للمسائل المطروحة للنقاش، وقويت ثقة المتعلم في نفسه، وبرزت أهليته لاكتساب المعرفة في الحال، وإنتاجها مستقبلا. ولذلك فمن واجب المعلم أن يلاحظ أن هذا النشاط والتفاعل ليس دليلا على تجاوز المتعلم لحدوده، ولكنه ممارسة طبيعية لحق شرعي في التعلم، وفي الاستفسار والبحث والاستكشاف.

سابعا : إن من واجب المتعلم أن يتحلى بالصبر، وأن يتمتع بطول النفس، ذلك أن العلم بحر واسع وحدوده غير معروفة. ومن هنا فإن التدرج في اكتساب المعرفة كفيل بأن يوصل المتعلم إلى مستويات عليا من التحكم.

ثامنا : ويأتي في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية، المحتوى البيداغوجي. وتعمد الدول عادة إلى تقسيم المحتوى البيداغوجي إلى مجالات متباينة كالرياضيات والفيزياء والبيلوجيا واللغات، وغيرها. إلا أن هذه المجالات المتباينة تشترك جميعا في مجموعة من المهارات القاعدية مثل القراءة والكتابة. وهي المهارات التي يكتسبها الطفل في المراحل الأولى من التعليم. وعند الانتقال من مرحلة إلى مرحلة يزداد تباين المجالات العلمية التي يمكن أن يتخصص فيها المتعلم. ولذلك تقسم مراحل التعليم إلى : مرحلة ابتدائية، مرحلة متوسطة، ومرحلة ثانوية، ثم التعليم الجامعي. إن هذا التقسيم ليس تقسيما اعتباطيا، ولكنه تقسيم مبني على ملاحظة التطور الإدراكي للمتعلم، ومن ثم تقدم للمتعلم في كل مرحلة مجموعة من المعارف التي تتناسب مع مستواه الإدراكي ونضجه العقلي.

تاسعا : إن التطور الإدراكي للمتعلم يفترض أن يعدّ الخبراء المتخصصون الحوامل البيداغوجية المتخصصة. وتُعدّ هذه الحوامل عادة بناء على التدرج المعرفي من الأسهل إلى الأصعب، ومن الواضح إلى الأقل وضوحا، ومن العام المشترك إلى الخاص الدقيق. ومن الأصل إلى الفرع وهكذا.